# باب سدرة!

## قصة د. سيد شعبان

في أم الدنيا حارات ودروب دب فيها الخلق من كل صنف ولون؛ نثر فيها المعز ذهبه حتى امتلأت البطون وسمنت الرقاب فعالج البعض بسيفه؛ انعطفت جهة قلعة الكبش؛ مسارب يتيه فيها الخبير؛ صاح مولانا الأخضر:

مجرى العيون سكنته التماسيح؛ أصاب الناس الرعب؛ أغلقت الأبواب؛ سرت شائعة أن ملك الروم يتربص بالبحار تسكنها سفنه؛ يلتف الدراويش حول مولانا الأخضر؛ يهبهم التعاويذ ويمنحهم البركات؛ كسرات خبز وحبات فول نابت؛ ويل لمن اختزن الغلال وألف سوط لمن أخفى حفنات الدقيق!

أمسكت بطرف ثوبي الأزعر؛ انفلت كما الريح؛ فجنود الوالي سياطها تشوي الظهور؛ أدركني النعاس جوار السيدة أم هاشم؛ لاأدري مضى يوم أو بعضه؛ كل ما أتذكره أنني أريت رجلا وجهه حمرة لهب؛ ارتعدت منه؛ في رعب سألته:

متى تأتي قافلة الشام يا أبا الحكم؟

حسبته سمعني أناديه بكنيته التي عرف بها؛ دارت عينه؛ شعرت بزفرات نفسه؛ يكاد سوطه يهوي على ظهري!

كفه أشبه بمطرحة الفرن تدفع بأقراص العجين فتتلوى في التنور خبزا شهيا للجائعين وأبناء السبيل!

قافلته ألف جمل حملها عسل وسمن.

من بعيد يأتي صوت سيدنا:

سطا ملك بني الأصفر على القافلة؛ تولول نسوة في المدينة، يتمرغ الدراويش في الشوارع؛ تدوس جنود الوالي الناس؛ يتجمعون ويتفرقون؛ لله يامحسنين!

تمسك بي أمي؛ أتعبتها هربا؛ تربطني في حبل؛ ينبح خلفي كلب أسود؛ الرجل الذي عينه تدور في بركة من دخان يقهقه!

تموت الجرذان جوعا؛ هذه أيام ضرب الجفاف الأرض؛ ثمة نار تشتعل في بلاد الثلج!

يترامي إلى أذني «أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف» تتساقط قطرات المطر؛ يمتلىء مجرى العيون؛ تكثر به الأسماك؛ يلقي الصيادون شباكهم فتخرج ممتلئة بحراب ورماح؛ يتوعد الوالي كل من يخرج من باب سدرة جهة حارة برجوان؛ تتدلى رقاب من باب زويلة؛ تدق أمي مسمارا في الحائط؛ تعلق به خرقة من ثوبي؛ يقال إن ذلك يخدع الرجل وجهه يتطاير شررا؛ أتسلل بعيدا حيث أغتسل في مجرى العيون؛ يتفل سيدنا في يديه؛ يمسح بهما على رأسي؛ تسكن نفسي؛ يمر بي جنود الوالي فلايروني؛ يبحث عني الرجل ذو لهب؛ أجد أرغفة؛ أحملها إلى الذين يجاورون مقام أم هاشم؛ يتقاسمونها؛ ترمقني فتاة عيناها جميلة؛ تبتسم لي؛ يهبني سيدنا دراهم معدودة؛ تزغرد أمي؛ أركب حمارا أبيض؛ أردف الفتاة خلفي!

يلتف حولي الدراويش؛ بعد شهور سآتي بولي للعهد يسكن حارة برجوان وقد يحالفه الحظ فيعتلي أريكة قلعة الكبش!